ما هي شروط البشارة؟
وما هي المؤهّلات والقابليات الضرورية لتلقّي خطاب البشارة الربانية؟

كلمة المستشار الثقافي
للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان،
السيّد كميل باقر

في
اللقاء الإسلامي المسيحي
بمناسبة عيد البشارة
رياق، ٢٠٢٣/٣/٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.
أصحاب السيادة والفضيلة والسماحة، أيها الحضور الكريم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أتقدّم منكم بأحرّ التهاني والتبريكات بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك وعيد البشارة، وأسأل الله أن يجعل هذه المناسبات العظيمة مبعثاً للخير والبركة والبشارة الإلهية .

في عيد البشارة لا بدّ أن نتحدّث حول مفهوم البشارة وشروطها. والسؤال الأساسي: من الذي يستحقّ البشارة؟ هل البشارة الإلهية تشمل الجميع دائماً وبدون استثناء وفي كل الظروف؟ أم هي صدفةٌ جميلةٌ تصيب البعض دون الآخرين بلا معيارٍ أو ضابطة؟ أم أنّها عنايةٌ رحمانيةٌ خاصةٌ يختصّ الله بها من يشاء، ولا يشاؤها إلا لمن يمتلكُ في شخصيتِه قابلياتٍ ومؤهّلاتٍ خاصة؟

مقتضى الحكمة الإلهية والعدالة الربّانية هو في الاحتمال الثالث دون الأوّل والثاني. هناك أشخاصٌ محدّدون يستأهلون البشارة الرحمانيّة ويستحقّونها، ويجب أن تتوفّر في الإنسان شروطٌ معيّنة لكي يصبح مخاطباً لنداء البشارة، فالبشارة ليست خطاباً عاماً ولا صدفةً ظالمة.

أن يختار الله سبحانه وتعالى السيدة مريم العذراء القديسة العظيمة دون غيرها ويبشّرها بميلاد السيّد المسيح -عليه الصلاة والسلام- ويقول لها كما ورد في القرآن الكريم: ﴿إِذ قالَتِ المَلائِكَةُ يا مَريَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنهُ اسمُهُ المَسيحُ عيسَى ابنُ مَريَمَ وَجيهًا فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبينَ﴾، هذا الاختيار الرباني وهذه البشارة الإلهية لا شك أنّها تدلّ على وجود مؤهّلاتٍ أساسيةٍ وتوافر شروطٍ مهمّة في هذه السيّدة الجليلة، ما جعلها مقصداً للوحي ومخاطباً للبشارة ولكي تكون أمّاً لعيسى روح الله. «العطيات بقدر القابليات»، كما يقول الفيلسوف الإيراني صدر المتألّهين الشيرازي (رضوان الله عليه) في كتابه الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة.

يبقى السؤال الأخير: ما هي شروط البشارة؟ وما هي تلك المؤهّلات والقابليات الضرورية لتلقّي خطاب البشارة الربانية؟ باختصارٍ شديد، القرآن الكريم يطرح شرطين أساسيين لتلقّي البشارة، وهما عبارة عن «الإيمان» و «العمل الصالح» حيث تقول الآية الكريمة: ﴿وَبَشِّرِ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُم جَنّاتٍ تَجري مِن تَحتِهَا الأَنهارُ كُلَّما رُزِقوا مِنها مِن ثَمَرَةٍ رِزقًا قالوا هذَا الَّذي رُزِقنا مِن قَبلُ وَأُتوا بِهِ مُتَشابِهًا وَلَهُم فيها أَزواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُم فيها خالِدونَ﴾ .

الإيمان هو أساس كلّ القيم ومنبع كلّ الفضائل وباعث كلّ الخيرات. صحيح أنّ قيمة الإنسان بإيمانه، ولكن قيمة الإيمان بالعمل. الإيمان القلبي المجرّد،

والإيمان الذي لا يُشاهَد شعاعه في جوارح المؤمن وعمله، مثل هذا الإيمان لا يتمتّع بقيمةٍ حقيقية، وكما يقول الإمام الخامنئي: «الإيمان الذي يبقى محصوراً في القلب سوف يذوي ويجفّ». ولذلك، القرآن الكريم يؤكّد على الشرطين إلى جانب بعضهما البعض لتلقّي بشائر الرحمن؛ الإيمان والعمل الصالح.

الإنسان الذي يدّعي الإيمان ولا يشعر بأيّ التزامٍ وتعهّدٍ عمليٍّ تجاه إيمانه عليه أن يشكّ في أصل إيمانه، وأن يكون على يقينٍ أنّه لم يستأهل بعد نداءَ البشارة. الإيمان المعتبر هو ذلك الإيمان الذي يولّد وينتج المسؤولية والالتزامات العملية، وإلا سيكون سهلاً على أيّ شخصٍ أن يدعيَ الإيمان القلبي ولا يوجد معيارٌ لتشيخص صدق الادّعاء من كذبه. هذا «الإيمان المقرون بالعمل» الذي يؤكّد عليه القرآن الكريم هو نفس «المحبّة العمليّة» التي قد وردت في الإنجيل أيضاً، حيث يقول في «رسالة يوحنّا الأولى»:

﴿وما يؤكّد لنا أنّنا قد عرفنا المسيح حقّاً هو أن نعمل بوصاياه. فالذي يدّعي أنّه قد عرفه ولكنّه لا يعمل بوصاياه يكون كاذباً ولا يكون الحقّ في داخله. أمّا الذي يعمل بحسب كلمة المسيح فإنّ محبّة الله تكون قد اكتملت في داخله. بهذا نعرف أنّنا ننتمي إلى المسيح. كلّ من يعترف أنّه ثابتٌ في المسيح يلتزم أن يسلك كما سلك المسيح... أيها الأولاد كونوا ثابتين في المسيح حتى تكون لنا نحن ثقةٌ أمامه ولا نخجل منه عندما يعود... إنّ محبّتنا لإخوتنا تُبيّن لنا أنّنا انتقلنا من الموت إلى الحياة. فالذي لا يحبّ إخوته فهو باقٍ في الموت. ومقياس المحبّة هو العمل الذي قام به المسيح... لا يجب أن تكون محبّتنا مجرّد ادّعاءٍ بالكلام واللسان، بل يجب أن تكون محبّةً عمليةً حقّة.﴾. (انتهى الاقتباس)

إذاً نحن المسلمون والمسيحيون متّفقون جميعاً على هذا المبدأ التأسيسي المهم وعلى ضرورة العمل بلوازم الإيمان والالتزام العملي بتعاليم الأنبياء والمشي الواقعي والسلوك الحقيقي في طريقهم وعدم الاكتفاء بالادّعاء، لكي نستحقّ البشارة ونستأهلها. والسيدة مريم القديسة الجليلة إذ نجدُها أنّها استحقّت البشارة والاصطفاء والاختيار الإلهي الخاص، لأنّها كانت مؤمنة أوّلاً وكانت من أهل العمل وصادقةً في إيمانها ثانياً. لأنّها كانت مظهراً للنقاء والعفة والحرص على مراعاة التقوى وكانت مصداقاً بارزاً لعبودية الله والالتزام العملي بأوامر الله سبحانه وتعالى. حيث تقول الآية الكريمة: ﴿وَمَريَمَ ابنَتَ عِمرانَ الَّتي أَحصَنَت فَرجَها فَنَفَخنا فيهِ مِن روحِنا وَصَدَّقَت بِكَلِماتِ رَبِّها وَكُتُبِهِ وَكانَت مِنَ القانِتينَ﴾. يعني بما أنّها في حياتها العملية كانت عفيفةً وقانتةً لله سبحانه وتعالى، فقد استأهلت أن يصلها نداء البشارة الربانية.

نسأل الله أن يمنّ علينا جميعاً بروح الإيمان، وأن يعيننا على العمل الصالح والالتزام، وأن يشملنا ببشائر الرحمن، وأن يجعلنا أمناءَ على أسرار العرفان، وكما يقول الشاعر الإيراني الكبير حافظ الشيرازي:

آن كس است اهل بشارت كه اشارت داند | نكته‌ها هست بسى محرم اسرار كجاست؟

ليس من أهلِ البشارةِ غيرُ مَن عرفَ الإشارَه | كثرَت أسرارُ هذا الكونِ.. فهل من أمين؟